

يوميّات في السّجن

وضعه في العربيّة سركون بولص

يوميات في السجن

يوميات في السجن

هوشي منه
رئيس جمهورية فيتنام الديمقراطية

وضعه في العربية سركون بولص

دار النهار للنشر

وضع هو شي منه هذه اليوميات باللغة الصينية ، وهو في سجون الصين . نقلته إلى الانكليزية ايلين بالمر . وهذه الترجمة إلى العربية تعتمد الطبعة الرابعة التي صدرت في هانوي ، عاصمة جمهورية فيتنام الديمقراطية، في ١٩٦٧ .

دار النهار للنشر ش.م.ل

بيروت ١٩٦٨

تموز ١٩٤٦ ، باريس

في غرفة الاستقبال من ذلك القصر الواقع على ضفة نهر السين ، كان صحفي متوثب بالنشاط يضايق ، لربع ساعة من الوقت ، رجلا نحيفاً يحمل على وجهه دلائل عميقة على الحرمان والألم ، وقد وقفت أمامه قارورة صغيرة فيها زهور أرجوانية .

كان حولهما نحو مائة مخبر ومراقب من جميع الأقطار .
سأله الصحفي :
— سيدي الرئيس ، هل أنت شيوعي ؟
فأجاب الرجل بأناة :
— نعم .
— هل عملت في المقاومة ؟
— نعم .
— كم من الوقت ؟
— نحو أربعين عاماً .
— هل كنت في السجن ، أيضاً ؟

وكان واضحاً ما يرمي اليه الصحفي .

— نعم .
— أي سجن ؟
— عدة سجون ، يا سيدي .
— طويلا ؟

ونظر الرجل النحيف إلى الصحفي المليء نشاطاً وهو يبتسم ابتسامة ضعيفة وقال :
— الوقت في السجن دائماً طويل ، كما تعرف .

كان الجواب الذي أعطي بالفرنسية باتّاً ، وواضحاً ، وغير متوقّع . هل قيل بقصد التبكيت ، أو السخرية ، أو التفكهة ؟ الأكيد هو ان الفرنسيين والانكليز والأمريكيين الموجودين في الغرفة تلك اللحظة ، دُهشوا عندما أيقنوا ان ذلك الرجل الملتحي يستطيع ان يبتسم في باريس او في لندن كما في هانوي . كانت ابتسامة لا تُسبَر ، ابتسامة رجل حكيم تمتدّ رؤياه بعيداً إلى ما وراء الحاضر.

هل لديك اسئلة اخرى ، ايها الصحفي ؟

— الوقت في السجن دائماً طويل .

آب ١٩٤٢ ، في آسيا

اقترب ثاني أعوام الحرب من نهايته . وسيطر اليابانيون على الهند الصينية . إلاّ ان قوى جديدة برزت إلى الوجود ، وفي فيتنام تم تأسيس قاعدة للمقاومة بشكل راسخ ، وذلك في الأراضي المرتفعة .

وذات يوم ، بالقرب من الجبهة الصينية — الفيتنامية ، قبض بوليس تشيانغ كاي شك على رجل لم يعرفوا عنه شيئاً سوى انه يُدعى « هو شي منه » ، وانه يريد الذهاب إلى تشنغ— كنغ ، وانه يدّعي كونه يمثل الوطنيين الفيتناميين .

من كان هو شي منه هذا ؟ في ١٩٢٦ او ١٩٢٧ ، كان هناك وطنيّ فيتنامي يحمل اسم نغويين أي كووك — وهو معروف لدى بوليس الشرق الأقصى كلّه ، اعتاد ان يسافر في هذا القطاع الملتهب من العالم . إلا ان نغويين الوطنيّ كان قد توفي .

وهذا الرجل يبدو في مثل سنه . كانت ثيابه بسيطة جداً ، إلا ان تفاصيل صغيرة فيه تظهر أنه لم يكن بالرجل العاديّ . والغريب في الأمر انه كان يريد مقابلة السلطات الصينية في تشنغ —كنغ . كان هذا كافياً ليُزَجّ بأيّ كان في السجن .

وُضع هو شي منه ، اول الأمر ، في سجن تسنغسي . ثم نُقل ، دون اي سبب واضح ، إلى ناننغ . ومن نااننغ أرسل إلى كويلين ، ومن كويلين إلى ليوتشو .

أخذوه قبل الفجر ، عندما انطفأت النجوم ، بيدين مكبّلتين ، على حصان ، خلف خنزير يقوده حارسان . وعند هبوط الليل ، حين عادت العصافير إلى أعشاشها ، زُجّ به في سجن موقّت من نوع ما بالقرب من مجمع قمامة . وكان ، مع ذلك ، سعيداً ، لأن احدى قدميه كانت مكبلة بسلسلة تحول بينه وبين النوم ليلا على فوهة بالوعة .

وفيما كان يُنقل من هنا إلى هناك على خطّ دائريّ مُفرغ ، اجتاز إقليم كوانغسي من اقصاه إلى اقصاه ، ووُضع في ثلاثين سجناً في الدساكر والمقاطعات لمدة أربعة عشر شهراً ، كما سُجن في ليوتشو ، حيث عاد من هناك في الطريق نفسها إلى الحدود التي اجتازها قبل عامين .

ومع انه امضى اياماً قطع فيها خمسين كيلومتراً مشياً على الأقدام ، وعانى ليالي الأرق ، والجوع ، والبرد ، ونوبات الحمّى ، فقد احتفظ السجين بابتسامته التي كانت تدلّل على ثقته التي لا تتزعزع بالحياة ، بكل انتصاراتها على الشر والموت .

لو كنت مقيّد الذراعين والساقين ، من يمنعك من سماع اغنية طائر ، من استنشاق أزهار عطرة ؟ هل العزلة والركود يثقلان عليك ؟ فالقمر الخريفي يتألّق في السماء . وهل خمول الغسق يبعث الفتور في ارادتك ؟ انظر إلى ذلك البيت المضاء في الليل الشديد الظلام :

بتعبٍ تطير العصافير إلى الغابة تنشد الراحة .
وعبر السماء الفارغة تهيم غيمة وحيدة ،
وبعيداً في قرية جبلية ، فتاة شابة تطحن الذرة .
وعندما تُطحن الذرة كلها ، تتأجج النار في الفرن .

وها ان البوليس يراقب كل تفصيل في حركاتك واشاراتك ، فمن يمنعك من التعبير عن وحشة ساعةٍ ما ، وعن حال لا يمكن وصفُها ، ومأساةٍ كامنةٍ خلف

ابتسامة ؟ إنّ شعر الأشياء هو في القلب من الحياة . واذا كان للشعر فائدة في الحياة يوماً ، فانما في مثل هذه الظروف .

كانت السجون الصينية في ذلك الوقت أماكن شنيعةً عامرة بالبؤس ، والقذارة ، والفساد ، والأمراض . وكانت تغصّ بالمقامرين ، ومدمني الأفيون ، والمصابين بالجرب والسفلس وما إلى ذلك . وكان السجين يعيش حياة عائلية ، فيعدّ الشاي على موقدٍ خاص به ، ويأكل بشهيّة عندما يكون هناك شيء يؤكل ، بعد عملية ناجحة لصيد القمل .

وفي المساء أحياناً ، كان سجيننا ، وهو جالس في الظلام ، يراقب النائمين والصاحين ، وذوي الوجوه البريئة وهم يضجعون على الأرض ، والخفافيش على الجدران وهي تزحف كعربات مصفحة في الليل ، والبعوض الذي كان يطير في كتائب . كان العالم يخوضً الحرب ، بينما كان هو يتعذب في رُكن زنزانة سجن ، بعيداً عن بلاده ، بعيداً عن رفاقه . وفي لحظات كهذه ، كان يُخرج دفتراً أبلاه الزمن ويخطّ فيه انطباعاته في ذلك اليوم . وكان يكتب بلغة سجّانيه ، اذ كانوا يرتابون بكل ما يُكتب بالفيتنامية .

كان هذا هو أصل مائة رباعيّة وقصائد كُتبت بلغة صينية كلاسيكية ، مطعّمة هنا بجملةٍ حديثة الصياغة ، وهناك بتعبيرٍ شعبي . وكانت كلّها تخطيطات مأخوذة من الحياة . وهي تؤلف برمّتها ما يمكن تسميته بـ « يوميات اسفار سجين ».

لقد ترجمنا هذا الكتاب من اجل اصدقائنا في الخارج . والسجين ، كما خمنّتم ، لم يكن غير نغويين الوطني ، ذلك الذي استقبل رجال الصحافة في غرفة استقبال قصر مونسيو الملكي ، ذات مساء من شهر تموز ١٩٦٤ ، وهو عام الصلح بين فرنسا وفيتنام .

وفي اطار هذه المجموعة من القصائد المترجمة ، لا نريد الإسهاب في وصف حياة المؤلف السياسية . اذ يبدو لنا هذا غير ضروري ، لأن اسم هو شي منه معروف جيداً . كما اننا لن نضع دراسة نقديّة لشعره في هذه المجموعة المتضعة من النصوص ، لكي لا نشغل وقت القارىء الذي يتوق إلى أن يقيمها بنفسه .

ومع ذلك ، نجد من الضروري ان نسجّل هذه الملاحظة الصغيرة .

في هذه الأيام تكثر مذكرات السّاسة الكبار . فالمذكرات جزء من التاريخ . والتاريخ ، كما تعرفون ، يمكن ان يرويه الإنسان على هواه .

ان الجمهور ، وخصوصاً في اوربا ، نادراً ما يُتاح له ان يقرأ قصائد أمثال هؤلاء . وهذا يحدث لأسباب عدة يجدر السبب التالي منها بالملاحظة ، مهما يكن غير ملائم ، وهو ان عظمة الساسة العظام تعود بشكل رئيسي إلى أعمالهم وتفكيرهم وشخصيتهم ، لا إلى حساسيّتهم دائماً . والآن ، فالشعر شيء صميميّ للانسان أكثر من اي شيء آخر . وهو من الصعب ان يكذب وإلاّ لما كان الشاعر شاعراً .

وفي رجال كهو شي منه ، الذكاء والحساسية هما شيء واحد . ليس هناك ثمة شيء هو سرّ في حياته العامة والخاصة . وبالنسبة له يمثل مشهد الألم دعوة إلى الفعل وكذلك إلى التعبير الشعري :

الوردة في المساء تزهر ، وبعدئذ تذوي .
تفتّحها وفناؤها يستمرّان في الخفاء .
لكنّ عبير الوردة ينتشر حتى أعماق السجن ،
راوياً للمقيمين فيه ظلم الحياة وشقاءها .

إن هذا الكتاب الصغير يمكّننا من فهم مؤلّفه أكثر بكثير مما تفعل مذكرات مطوّلة .

يهوان نهوان

في تموز ١٩٤٦ ، قاد هو شي منه وفداً عن حكومة فيتنام إلى فرنسا لافتتاح المفاوضات المشتركة حول اتفاقيات ٦ آذار ١٩٤٦ التمهيدية التي ولدت منها اتفاقية عدم الاعتداء ، في ١٤ ايلول ١٩٤٦ (اجتماع فونتنبلو) . ولسوء الحظ ، نقض المستعمرون الفرنسيون هذه الاتفاقيات ، فهبّ الشعب الفيتنامي إلى المقاومة في ١٩ كانون الأول ١٩٤٦ ، إلى ان احرز النصر في تموز ١٩٥٤ .



الجسد في السجن ،
والعقل يهرب إلى الخارج :
لكيما ينتج العقل أشياء عظيمة
ينبغي ان يكون كبيراً وسموحاً .



اوّل صفحة من اليوميات

إستظهار الشعر لم يكن من عوائدي ،
والآن ، وانا في السجن ، فأيَّ شيء آخر أفعل ؟
هذه الأيّام السجينة سأقضيها في كتابة القصائد ،
وبغنائي لها ، أقرّب يوم الحريّة .

شارع « الرخاء والمجد »

في شارع « الرخاء والمجد » ، قُذِفتُ بالعار
حتى تؤخّر رحلتي :
أنا رجل شريف له ضمير صافٍ ،
لكنني اتّهِمْتُ ، دونما حقٍّ ، بانني جاسوس .

دخول سجن تسنغسي المحليّ

نُزَلاء السجن القدامى يرحّبون بالسجناء الجدد .
في السماء تطرد السحب البيضاءُ السوداءَ بعيداً .
السحبُ البيضاء والسوداء غابت عن أنظارنا .
وعلى الأرض ، يُحشر الأحرار في السجون .

صعب هو طريق الحياة

١ —

كيف ، وقد تسلّقت جبالاً وطيئةً وقمماً عالية ،
أتوقّع في السهول ان ألاقي خطراً أعظم ؟
في الجبال ، قابلتُ النّمِر وخرجت سالماً :
على السهول ، التقيت البشر ، فألقي بي في السجن .

٢ —

كنتُ ممثّلاً لفيتنام
في طريقي إلى الصين لأقابل شخصية هامّة ،
على الطريق الهادىء ثارت عاصفة مفاجئة ،
فأودعْتُ السجن كضيفٍ مكرَّم .

٣ —

انا رجلٌ مستقيم لا تثقل ضميري جريمة ،
لكنني اتّهمت بكونيَ جاسوساً في الصين .
فالحياة ، كما ترى ، ليست بالامر اليسير .
وها هو الحاضر محفوف بالمصاعب .

الشمس في الصباح

١ —

الشمس في كل صباحٍ ، تطلع فوق الجدار ،
فتطرح أشعتها على البوّابة ، لكنها تظلّ مقفلة .
« والقاووش » داخل السجن ، يلفّه الظلام ،
لكننا نعرف ان الشمس اشرقت في الخارج .

٢ —

ما ان نستفيق ، حتّى نبدأ باصطياد القمْل .
في الساعة الثامنة يدقّ الناقوس لوجبة الصباح ،
هيّا بنا ! لنذهبْ ونأكل حتّى الشبع .
لقاء ما نعانيه ، ستجيء ايام هنيئة .

احلام القيلولة

في الزنزانة ، ما اهنأ القيلولة !
ولساعاتٍ يحملنا بعيداً نومٌ عميق .
أحلم بركوب تنّين إلى السماء ...
حين أفيق ، يُعاد بي ، بغتة ، إلى السجن .

بعد الظهيرة

الساعة الثانية : ينفتح باب الزنزانة لدخول الهواء المنعش .
الجميع يرفعون رؤوسهم لينظروا إلى السماء .
ايتها الأرواح الساكنةُ سماءَ الحريّة ،
أتعرفين ان مثيلاتك تذبل في السجن ؟

مساء

عندما تنتهي الوجبة ، تغرق الشمس في الغرب .
والآن ، من كل صوب ، الأغاني الشعبية والموسيقى
تنطلق فجأةً : سجن تسنغسي الكئيب
يتحوَّل إلى أكاديميّة للفنون .

وجبات السجن

في كل وجبة ، صحن واحد من الرز الاحمر ،
بلا خضار ، بلا ملح ، حتى بلا مرق :
والذين يتناولونه ، يأكلون احياناً كفايتهم .
لكننا ، ولا عون لنا من خارج السجن ، نئن من الجوع .

ناي الرفيق السجين

فجأةً يرسل الناي نغمة حنين .
وبحزن ترتفع الموسيقى ، قريبةً من البكاء :
على ألف ميل ، عبر الجبال والأنهار ،
الرحلة حزن موجع . كأنما امرأة
تتسلّق برجاً نائياً ، لترقُبَ عودة أحد .

السلاسل

١ —

بفم ٍجائع مفتوح كوحش شرّير ،
في كل ليلة تلتهم السلاسل أرجُل الشعب :
الاشداق تمسك بالقدم اليمنى لكل سجين :
اليسرى وحدها حرّة ، تنطوي وتمتدّ .

٢ —

إنما هناك شيء واحد أكثر غرابة في هذا العالم :
الناس يندفعون ليضعوا اقدامهم في السلاسل .
وما ان يصفّدوا، حتى يناموا في سلام .
وإلا فلا مكان يضعون فيه رؤوسهم .

تعلم لعبة الشطرنج

١ —

لكي نقتل الوقت ، نتعلّم لعبة الشطرنج .
وبالآلاف تطارد الخيولُ والمشاةُ بعضها بعضاً ،
وتتحرك بسرعة ، في الهجوم والانكفاء .
الموهبة والاقدام السريعة تمنحنا الغَلَبَة .

٢ —

على العيون ان تحدق إلى البعيد، والأفكار ان تُناقَش بعمق .
كن جريئاً وعنيداً في الهجوم .
إعطِ أمراً مغلوطاً ، تخسر حجرين .
وفي اللحظة المناسبة ، قد تنتصر بحجر صغير .

٣ —

القوى على كلا الجانبين متكافئة ،
لكنّ النصر لا يُكتب إلا لجانب واحد .
هاجمْ ، تقهقرْ ، بستراتيجية لا تضلّ :
عندئذ تستحقّ لقب قائدٍ عظيم .

ضوء القمر

للسجناء ، لا كحول ولا أزهار ،
لكن الليل جميل ، فكيف نحتفل به ؟
اذهبُ إلى الكوة وأحدّق الى القمر ،
ومن خلال الكوة يبتسم القمر للشاعر .

حصّة الماء

حصّة كلّ منّا نصف وعاء من الماء
للاغتسال او للشاي ، كما يحلو له .
فإذا غسلت وجهك بقيت بلا شاي
واذا شربت الشاي بقيت بلا غسْل .

مهرجان منتصف الخريف

قمر منتصف الخريف مدوّر كمرآة
يضيء الأرض كلها بأشعته الفضية البيضاء .
أنتم يا من تستمتعون بمنتصف الخريف بين اهلكم ،
تذكروا الذين في السجن يشربون ثمالة الشقاء .

٢ —
في السجن نحتفل ايضاً بعيد منتصف الخريف .
فإلينا يحمل قمر الخريف وريحه طعم الكآبة .
لئن حُرمت حريّةَ التمتع بقمر الخريف ،
فقلبي يطوف خلفه في الفضاء .

قمار

خارج السجن ، يقبضون على المقامرين ،
فما يدخلون السجن ، حتى يقامروا كما يشاؤون :
وبالطبع ، كثيراً ما يشكو السجناء :
« لماذا لم نفكر قبلاً بالمجيء إلى هذا المكان ؟ »

الذين يسجنون بتهمة القمار

الدولة لا تطعم المسجونين بتهمة المقامرة
لعلهم يدركون ضلال طرقهم الماضية :
وفي كل يوم يستمتع السجناء الاثرياء بطعامهم الوفير ،
والفقراء يذرفون الدموع ، ولعابهم يسيل من الجوع .

الانتقال الى تيانبو في يوم العيد

كل بيت كان مزيّناً بالأزهار والفوانيس .
وفي عيد الوطن ، جُنّت البلاد كلّها من الفرح ،
لكن في ذلك اليوم نفسه ، قُيّدت بالسلاسل ونُقلت :
الريح تعاكس دائماً طيران الصقر .

على الطريق

حين نكون على الطريق عندئذ نعرف المخاطر .
فبعد ان نرقى جبلاً واحداً ، يظهر لنا جبل آخر :
لكننا ، حين نبلغ قمم الجبال ،
نرى آلاف الاميال بنظرة واحدة .

هبوط الليل

بتعبٍ تطير العصافير إلى الغابة تنشد الراحة .
وعبر السماء الفارغة تهيم غيمة وحيدة .
وبعيداً في قرية جبليّة ، فتاة تطحن الذرة
وعندما تطحن كلها ، تتأجج النار في الفرن .

قضاء الليل في لنغجوين

ركض « جواداي َ » طيلة النهار بلا توقّف .
وفي الليل ، قدموا لي « دجاجاً بخمسة انواع من التوابل »
وتبرعوا بالهجوم معي على البق والبرد .
ما اعذب غناء القبّرة ، يعلن بزوغ الفجر !

تينتنغ

لكل وجبة طعام ، لا شيء سوى صحن من الرزّ
وليل َ نهار ، تقيم البطون الجائعة مناحة .
ثلاثة « ينّات » من الرز لا تكفي لسدّ الرمق ،
حين يباع الحشب كالقِرفة ، والرز كأنه لآلىء .

الوصول الى تيانباو

اليوم مشيت ثلاثة وخمسين كيلومتراً ،
ثيابي مبللة ، وحذائي استحال إلى خـرَق ،
وطيلة الليل ، بلا مكان أرقد فيه ،
أنتظر مجيء اليوم التالي ، على حافة باللوعة .

زيارة زوجها في السجن

الزوجُ خلف قضبان الحديد .
والزوجة خارج قضبان الحديد ، تنظر إلى الداخل .
ما أقربهما ، لا تفصلهما غير مسافة صغيرة
ومع ذلك ما أبعدهما ، كالسماء وأعماق البحر .
ما لا تعبّر عنه الألفاظ ، تبيّنه عيونهما اليائسة .
وقبيل كل لفظة ، تفيض عيناهما بالدموع .
من يقف هنا ويرقب لقاءهما ، دون تأثر ؟

عن استقبال ويلكي في الصحف

كلانا صديق للصين ،
وكلانا نذهب إلى تشنغكنغ ،
لكنك تُعطى كرسيّ ضيف مبجّل ،
بينما أنا سجين ، منطرح تحت الدرج .
لماذا نُعامَل كلانا هذه المعاملة المختلفة ؟
البرودة من نصيب احدنا ، والدفء من نصيب الآخر :
تلك هي طريقة العالم ، كما من قديم الزمن :
المياه تتدفق صوب البحر .

نصيحتي الى نفسي

بدون برد الشتاء وكآبته
لا يكون هناك دفء الربيع وبهاؤه .
المحن روّضتني وعلمتني الصلابة ،
وحوّلت ذهني إلى فولاذ .

مشهد رعوي

حين جئت إلى هنا ، كانت نباتات الرز طرية خضراء .
والآن اقبل الخريف ، والحصاد كاد ينتهي
وفي كل مكان تضيء البسَمات على وجوه الفلاحين ،
والغناء والضحك يُسمعان عبر حقول الرز .

الخان

بجانب الطريق ، في ظل شجرة كبيرة ،
كوخ من الجذوع كخان للمسافرين العابرين ،
انما لا خمر لضيوف هذا المكان
والطعام رزّ مسلوق وملح ابيض .

سجن كيوته

أيها السجن الغريب حيث تهاجمنا الهموم اليومية
خشب ، رز ، زيت ، ملح — يجب ان يُشترى ويُدفع ثمنُه .
أمام كل زنزانة ينتصب موقد صغير
يغلي عليه الرز ، طيلة النهار ، ويُطبخ الحساء .

رحيل قبل الفجر

١ —
الديكةُ تصيح مرةً ، فالليل لمّا ينتهِ .
ورويداً يرقى القمر التلال الخريفيّة
بصحبة النجوم ، لكنّ المسافر الذي
يرحل إلى بعيد هو الآن في طريقه :
تصفع وجهه هبّات الريح الثلجية .

٢ —
الشحوب في الشرق يتحوّل إلى لون ورديّ ،
وظلال الليل تضحك والدفء ينتشر
فوق وجه البسيطة : وفي اعماق المسافر
يدفأ الشاعر ويفيق .

من لنغان الى سجن تنغشون

الأرض في هذه الارجاء شاسعة ، لكنها فقيرة .
لذلك ، فالناس مقتصدون ومجتهدون
وفي هذا الربيع يعانون ، كما يقال ، قساوة الجفاف :
لا يزرع من الأرض إلا عُشْران أو ثلاثة .

في الطريق

مع انهم احكموا قيد ذراعيّ وساقيّ ،
أسمع في الجبل كلّه تغريد العصافير ،
والغابة مليئة بعطر زهور الربيع .
لن يمنعني احد من حرية الاستمتاع بهذا كلّه ،
وهو الذي يقلّل من وحشة الرحلة الطويلة .

تنغشن

(الثاني من الشهر الحادي عشر)

سجن « تنغشن » يشبه سجن « بنغما » كثيراً :
فكل وجبة طعام صحن من الرز ، والمعدة دائماً فارغة ،
لكن الماء والنور ، على الأقل ، متوفران هنا
وفي كل يوم تُفتح الزنزانات مرّتين للهواء المنعش .

غطاء من الورق لسجين

صفحات كتب قديمة وجديدة متلاصقة :
فغطاء من الورق أفضل من لاشيء !
فيا من تنامون في أسرّة من حرير مطرز الستائر
أتعلمون أنّ في السجون من لا يستطيعون النوم ؟

ليلة باردة

في ليل الخريف البارد ، بلا مخدّة ، بلا أغطية ،
أرقد وظهري مقوّس وساقاي مطويّتان إلى فوق ،
محاولاً النوم بلا جدوى . ضوء القمر على السطوح
يزيد الإحساس بالبرد ، ومن خلال قضبان النافذة
يقترب « الدبّ الأكبر » وينظر إلى الداخل .

وداع سن

انت قاسٍ ومتكبّر ، يا صديقي ،
لا رخو ولا طويل كاللسان :
تقاسمنا معاً مرَّ الحياة وحلوها .
والآن فلنفترق : غرباً انت وشرقاً أنا .

زوجة جندي هارب

ذات يوم ذهبتَ ولم تعد
وحيدة انا في غرفتنا ، أحنّ إلى رفيق .
والسلطات ، اذ اشفقت على وحدتي ،
دعتني لأعيش موُقّتاً في السجن .

شيء يبعث على الابتسام

الدولة تطعمني الرز : وأنا أسكن قصورها .
حرّاسها يقفون ، صفوفاً صفوفاً ، في خدمتي
جبالها وأنهارها أحدّق اليها كما اشاء
مغموراً بفوائد كهذه ، الإنسانُ إنسانٌ حقاً !

في الطريق الى نانتنغ

الحبل اللدن استبدلوه الآن بأغلال من حديد .
كل خطوة ترنّ ، كأنني ألبس خواتمَ فضيّة .
ومع انني سجين ، متّهم بكوني جاسوساً ،
اتصرّف بمهابة ، كموظّف حكوميّ عتيق !

حرّاس يحملون خنازير

١ —
على طول الطريق ، يحمل الحرسُ الخنازير .
الخنازير على أكتاف الحرس ، بينما الرجال في القيود .
حين يفقد الإنسان ، مجبراً ، حرّيته الانسانية الطبيعية
تصير قيمته أقلّ من قيمة خنزير .

٢ —
في هذا العالم قد نُصاب بألوف النكبات
لكن لا شيء أقسى من خسارة الحرية .
حين لا حقّ للانسان ، بعدُ ، بكلمة ، باشارة
نرضى بأن نُساق كالحيول او الماشية !

تعثّر

الظلام يلفّ الأرض ، لكننا مجبَرون على السير :
الطريق ملتوٍ ، كذلك وعِرٌ وصعب .
وفي تعثّري أقع في حفْرة خطرة .
وبشيء من الحظّ ، قدرت ان اقفز إلى الخارج .

على متن قارب يتجه الى نانغ

محمولاً بقوّة التيّار ، ينحدر القارب نحو نانغ .
اقدامنا مربوطة بالسقف ، كما بحبل المشنقة .
وعلى ضفّتي النهر قرى نشيطة زاهرة
وقوارب الصيادين تنزلق وسط التيّار .

سجن نانننغ

هنا سجن على الطراز الحديث
فطيلة الليل تغرق القاعة بالكهرباء ،
ووجبة الطعام صحن واحد من الرز ،
فالمعدة دائماً في احتجاج ، ودائماً تر تعش .

حزن

العالم كلّه يلتهب بنيران الحرب ،
والرجال يتسابقون للوصول إلى المقدمة
وفي السجن يثقل القعود كاهل السجين
ومطامحي النبيلة تقدَّر بأقلّ من فلْس !

الاصغاء الى صياح الديك

انت ديك عاديّ لا أكثر
لكنك كل صباح تصيح ايذاناً بطلوع الفجر .
كيكي كيكي ! أنت توقظ الشعب من النوم .
وهي مهمّة يومية ليست بدون أهميّة .

موت رجل سجن بسبب القمار

لم يبقَ منه شيء غير الجلد والعظم .
البؤس قضى عليه ، والبرد والجوع ،
كان ينام إلى جانبي حتى الليلة الماضية ،
لكنه مضى ، هذا الصباح ، إلى بلاد الينابيع التسعة .

واحد اخر ايضا

يو يي وتشو تسي رفضا رزّ سلالة تشو .
وهذا الرجل رفض طعام الحكومة .
مات يو يي وتشو تسي على جبل سويانغ .
والمقامر السجين مات جوعاً في زنزانته .

ممنوع التدخين

التدخين هنا ممنوع بتاتاً !
وتبغك يختفي في جيب السجّان .
وهو ، بالطبع ، يضعه في غليونه ــ فله الحق !
حذارِ ان تحاول ثانيةً : الاصفاد دائماً بانتظارك .

غسق

الريح يُشحذ حدّها الآن على صخور الجبل
ورمح البرد يخترق أغصان الأشجار .
الناقوس من معبد ناء يحثّ
خطى المسافر ، والأولاد يعزفون الناي
وهم يسوقون الثيران الوحشيّة عبر الغسق .

الاسعار

ستّون فلساً لطبخ قصعة من الرز !
حوض من الماء الحارّ يكلّفك « ينّاً » واحداً
و « الينّ » يُدفَع للذي ثمنه ستون فلساً .
تلك هي الأسعار المفروضة علناً في السجن .

ليلة أرق

تمرّ الساعة الأولى .. الساعة الثانية .. الساعة الثالثة ..
أتقلّب على نفسي ، وأتململ ، ولا يأتيني نوم .
الساعة الرابعة .. الخامسة ! وما تكاد عيناي تغمضان
حتى ترتعش النجمة الخماسيّة الأطراف في أحلامي .

مفكرا بصديق

في ذلك اليوم ، جئتَ معي إلى حافة النهر .
« متى ترجع ؟ » سألتني . « عندما ينضج الموسم الجديد »
أجبتك . لكن ذلك الموسم حُصد من من وقت طويل
وما زلت أتلكّأ ، سجيناً في أرضٍ غريبة .

عريضة لاجل رفيق في السجن

ما دمنا في المركب نفسه ، فلن نرفض
مساعدة احدنا الآخر . لأجلك اكتب هذه العريضة ،
بادئاً بألفاظ تُعتبر صحيحة ،
مثل : « وهكذا ، استناداً إلى تعليماتكم الجليلة .. »
هذا النوع من العبارات أتعلّمه الآن للمرة الأولى .
فكم تشكر لي أداء مهمة رائعة كهذه !

جرب

مدهونون بالأحمر والأزرق كأننا بالحرير المزركش
وحكاكنا المستمر كالعزف على القيثار .
بالحرير المزركش ؟ كيف لا ، ونحن ضيوف مبجّلون ،
نتقاسم لغةً واحدة مع رفاقنا الموسيقيين .

الاصغاء الى طحن الرزّ

كم يتألم الرزّ وهو تحت المدّقة !
لكنه ، بعد الطحن ، يخرج أبيضَ كالقطن .
هكذا البشر في هذا العالم :
مشغل المصائب يصقلهم كحجر الصوّان .

الحادي عشر من تشرين الثاني

١ —

من قبل ، عندما جاء الحادي عشر من تشرين الثاني
احتفلوا بانتهاء الحرب العالمية الأولى في أوربا .
واليوم يشتدّ القتال فوق قارات خمْس ،
والنازيّون هم المجرمون الكبار .

٢ —

ستة أعوام كادت تنقضي الآن على نضال الصين :
أعمالها البطوليّة معروفة في العالم أجمع ،
النصر في قبضتها ، لكنّ جهوداً أعظم
لا بدّ منها لشنّ الهجوم المضاد .

٣ —

فوق آسيا كلّها تخفق الرايات المعادية لليابان
رايات كبيرة او رايات صغيرة — أنها ليست سواء .
بالطبع ، ينبغي لنا رايات كبيرة ، وانما
نحتاج إلى الرايات الصغيرة ايضاً .

انذار جوّي

طائرات العدوّ تقبل هادرةً في الفضاء .
والناس يهربون إلى الملاجئ ، تاركين المكان موحشاً .
ولأن الغارات مستمرة ، يأخذوننا خارج السجن .
وفي خارج السجن نصبح سعداء
برغم هذه الغارات .

الحانة

القادمون الجدد إلى السجن
ينامون ، بموجب القوانين ، قريباً من البالوعة .
فعلى من يريد قضاء ليلة هانئة
أن ينقد الثمن مقدّماً .

ضوء شمس الصباح

ضوء شمس الصباح ينفذ إلى السجن ،
جارفاً أمامه الدخان ومُحرقاً الضباب .
نسمة الحياة تملأ الطبيعة كلّها ،
والابتسامات تضيء وجوه السجناء .

بناة الوطن

الخارجون من السجن يمكنهم بناء الوطن .
والنكبات تمتحن ولاء الشعب .
للذين يقاومون الظلم قيمةٌ وجدارة .
فحين تُفتح السجون ، يطير التنّين الحقيقي .

اليقظة في فيتنام

الموت ولا العبودية ! في كل مكان من بلادي
تخفق الرايات الحمْر مرة ثانية
أوّاه ، ما اتعس ان تكون سجيناً في وقت كهذا !
متى أكون حرّاً لأشارك في المعركة ؟

وفد بريطاني في الصين

الأمريكيون ذهبوا ، والآن وصل البريطانيون .
وها وفْدُهم يلقى الترحيب في كل مكان .
أنا أيضاً موفَد في زيارة وديّة إلى الصين .
لكن ترحيبهم بي كان من نوعٍ آخر !

إعادتي إلى أومنغ

نقلوني إلى نياننغ ،
وها هم يعيدونني إلى أومنغ .
ونقْلاً بعد نقْل ، تطول رحلتي ،
وأنا قد شبعت من هذا كلّه !

لحم الكلاب في ياوسيانغ

في كيوته ، يأكلون سمكاً طازجاً .
وفي ياوسانغ ، يعيشون على لحم الكلاب .
حتى حرّاس السجن
أحياناً لهم مآكل شهية !

مرممو الطريق

مبللين بالمطر ، مجلودين بالريح ، وبلا راحة :
بأي بؤسٍ تعملون هناك ، في ترميم الطريق !
بين المسافرين العابرين على الأقدام والجياد والعربات
كم واحد يقرّ بفضلكم عليه .

عصاي التي سرقها الحارس

طيلة حياتك معي ، كنتِ مستقيمة وقويّة .
ومعاً قطعنا فصول الثلج والضباب .
ملعون هو اللص الذي فرّق بيننا !
فهل ينتهي أبداً ، الحزنُ الذي سبّبَه لنا ؟

حجر المسافة

لستَ عالياً ، ولست بعيداً جدّاً ،
لست امبراطوراً ، ولا مَلِكاً ،
بل انت حجر مسافة صغير ،
يقف على حافة الطريق
تدلّ المسافرين العابرين
على الاتجاه الصحيح ،
فلا يتيهون .
وتخبرهم بالمسافة
التي ما زال عليهم ان يقطعوها .
هذه ليست بالخدمة الصغيرة
والناس دائماً سيذكرونك .

الطفل في سجن بنيانغ

وعْ ! وعْ ! وعْ ! هرب أبي ،
أبي يخاف ان يكون جندياً .
لذلك فأنا في السجن ، مع انّ عمري ستة أشهر .
وكان عليّ ان أجيء مع أمّي .

ثمن الاضاءة

عندما تدخل السجن . يطلبون ثمن الاضاءة :
ستة ينّات لكل شخص :
لأن النور في ملكوت الظلام هذا
لا يساوي إلاّ ستة ينّات .

حياة السجن

لكلّ واحد موقده ، وبضعةُ أواني فخّار
لطبخ الرز والخضار وغلي الشاي .
فالمكان ، طيلة النهار ، يمتلىء ابداً بالدخان .

السيد كو

كان هذا الاجتماع من حسن الطالع ،
كما يجمع التيار قطعتين من الخشب
تائهتين . أوه ، يا سيّد كو ، ما أثمن عطفك علي !
كبعض الفحم يُهدى في عزّ الشتاء ،
معرفتي انّ امثالك ما زالوا يوجدون !

السيد مو ، رئيس الحرس

لرئيس الحرس في بنيانغ قلبٌ من ذهب .
يشتري الرز للسجناء بماله الخاص .
وفي الليل ينزع عنّا السلاسل لننام .
وهو لن يلجأ إلى العنف ، بل إلى الرأفة وحدها .

في القطار المسافر الى ليبنغ

بعد ايام من السير المضني على الأقدام
نركب القطار اليوم .
ومع اننا نجلس على أكوام الفحم
فهذا ، على الأقل ، افضل من المشي .

رجل يحاول الفرار

مسوقاً بفكرة واحدة : الحرية ،
يقفز من القطار المنطلق ،
مجازفاً بكل ما عنده ، ويركض مسافة قصيرة
ولسوء الحظ ، يقبض عليه الحراس ويعيدونه .

ليبنغ

هنا مدير الحرس يلعب الورق كل يوم ،
ومدير البوليس يسلب نقود السجين
الذي سينقلونه . ومدير المقاطعة يعمل بهناء
تحت ضوء المصباح : لا شيء هنا قد تغيّر .

وصولي الى ليوتشو

لكلّ مرارة ومعاناة نهاية.
في التاسع من الشهر ، حين وصلت إلى ليوتشو
التفتّ إلى الوراء عبر مائة يوم كابوسيّ ،
وحينما افقت ، كان وجهي مدموغاً بالحزن .

اعتقال دون تحقيق

الشراب اكثر مرارة حين نبلغ الثمالة .
بوابة الحدود دائماً أكثر صعوبة .
مقرّ الحاكم لا يبعد الا قليلا
فلماذا يجعلونني انتظر طويلا هنا .

منتصف الليل

كل الوجوه تبدو صادقة في النوم .
وحينما تستيقظ يظهر عليها الخير او الشر .
فالخير والشر لا يولدان في الانسان ،
بل ، في اغلب الأحوال ، ينبعان من تربيتنا .

في مقر الحاكم

وأخيراً ، قلت في نفسي ، بلغنا آخر مرحلة .
وظننت ان يوم الخلاص قد دنا .
من كان يحلم بأنهم يجدون عقبة أخرى ؟
ترحيل آخر : الآن إلى كويلين .

في نهاية شهور اربعة

« يوم واحد في السجن يساوي الف سنة خارجه .. »
كم كان القدامى على حق ، في قولهم هذا .
شهور اربعة وانا اعيش حياة لا انسانية .
فزادت من عمري اكثر مما تفعل عشرة أعوام .
نعم ، في اربعة شهور لم آكل مرّةً كفايتي ،
في اربعة شهور لم أقض ليلة هانئة ،
في اربعة شهور لم أغيّر ملابسي ، وفي أربعة شهور
لم استحم ابداً .
وهكذا : فقدتُ سنّاً ، وشاب شعر رأسي .
وأنا ، نحيفاً وأسودَ كشيطان نهشه الجوع ،
مغطّى بالجرب ولحسن طالعي
ولأنني عنيد وصبور ، لا أتنازل قيد شعرة ،
مع انني موجع الجسد ، فان روحي لا تلين .

مريض وتحت الخطر

جسدي انهكته تقلّبات مناخ الصين ،
وقلبي يضطرب لما أصاب فيتنام من مصائب .
آه ، ما أقسى ان تمرض في السجن !
لكنني أفضّل بدلَ البكاء ، ان استمرّ على الغناء .

وصولي الى كويلين

ليس لـ « كويلين » قِرْفة ولا غابة :
الجبال وحدها عالية ، والأنهار عميقة .
في ظل شجرة تين ماردة ، يبدو السجن مرعباً جداً
مظلماً وقت النهار ، موحشاً طيلة الليل .

اجرة الدخول

عند الوصول إلى السجن ، عليك ان تدفع أجراً
وعادةً لا يقلّ عن خمسين ينّاً .
فاذا اعوزك المال لتدفع ابداً ،
يضايقونك ويعذبونك باستمرار .

أربعون يوماً ضاع ، لغير ما نتيجة .
أربعون يوماً من عذاب لا يوصف !
والآن يُعاد بي ثانيةً إلى ليوتشو .
أعباء جديدة ومضايقات لا نهاية لها .

ليوتشو ، كويلين ، وبعد ذلك ليوتشو مرة أخرى .
وأيضاً ركلوني من هنا وهناك ، ككرة القدم .
وسحبوني ، وانا بريء ، في طول كوانغسي وعرضها .
متى ينتهي هذا الرواح والمجيء ؟

في المكتب السياسي لمنطقة المقاومة الرابعة

سافرت في المقاطعات الثلاث عشرة إلى اقليم كوانغسي ،
وتذوّقت مباهج ثمانية عشر سجن مختلف .
أية جريمة اقترفت ، أظـَلّ اتساءل ؟
جريمةَ ولائي لشعبي .

مشهد صباحي

في الصباح ترقى الشمس قمم الجبال
وتغسل السفْح بشعاع ورديّ .
وأمام السجن يبقى الظل القاتم ،
فطريق الشمس صُدّت عن زنزانة السجن .

مهرجان تسنغمنغ

في مهرجان تسنغمنغ يتساقط رذاذ رتيب
والسجناء في مثل كآبة مريرة .
« أيتها الحرية ، أين أنت ؟ » نسأل ، فيشير الحارس
إلى مقرّ الحكومة الرسميّ ، البعيد .

مشهد مسائي

الوردة في المساء تزهر ، وبعدئذ تذوي .
تفتّحها وذبولها يستمران في الخفاء .
لكن عبير الوردة ينتشر حتى أعماق السجن ،
راويا للمقيمين فيه ظلم الحياة وشقاءها .

قيود

الحياة بلا حريّة حال بائسة حقّاً .
حتى الحاجات الطبيعية خاضعة للقيود .
حين يُفتح الباب ، لا تكون البطن مستعدّة
وحين تشتدّ حاجتها الطبيعية ، يبقى الباب مغلقاً .

ليالي الارق

عبر الليالي اللانهائية ، حين يرفض النوم ان يجيء ،
اكتب أكثر من مائة قصيدة عن حياة السجن .
في نهاية كل رباعيّة ، أضع فرشاتي من يدي
ومن خلال قضبان السجن ، أرفع نظري إلى الفضاء الحر .

امطار لانهاية لها

تسعة أيام من المطر المستمرّ مقابل يوم من الطقس البديع !
الفضاء فوقنا شيء لا رحمة له
حذائي مهترىء ، والطريق الموحلة تلطخ قدميّ .
لكنني يجب ، مهما يكن ، ان أبقى سائراً .

ندم على زمن ضائع

السماء الزرقاء تشرق عن قصد لتداعبني .
حتى الآن خسرت ثمانية أشهر في القيود .
كأنما نهار واحد يساوي الف مثقال من ذهب .
متى أنعم ثانية بأيام الحرية ؟

انطباع خريفي

١ —

نحو العاشرة يعتلي « الدبّ الأكبر » الجبل ،

وأغنية الجنْدب ، متصاعدةً ومتلاشية ، تعلن مجيء الخريف .

ماذا يهمّ السجين من الفصول المتبدّلة ؟

تبديلٌ واحد فقط يحلم به : تحريره .

٢ —

في العام الماضي ، عند مطلع الخريف ، كنت حرّاً .

وفي هذا العام ، يجدني الخريف في اعماق السجن .

خدمة وطني ، يحق لي أن أدّعيها .

هذا الخريف كان مثمراً تماماً كالأخير .

التنزه في ساحة السجن

بعد هذا الركود الطويل ، فساقاي كالقطن .
وعند اول خطوة ، اترنح واكاد أقع
وللحال يصرخ بي رئيس الحرس :
« انتباه – إلى الوراء دُرْ ! كفى هذا التسكّع . »

ليلة خريفية

امام البوابة ، يقف الحارس مع بندقيّته .
وفوق ، بعيداً ، تحمل الغيوم المبعثرة القمر .
الخنافس حولنا كدبّاباتٍ في مناورة ،
والبعوض في كتائبَ ، يهاجم كطائرات مقاتلة .
قلبي يسافر ألف « لي » نحو أرض وطني .
وحلْمي ينحبك بالحزن كنسيجٍ بألف خيط .
بريئاً ، تحمّلت الآن عاماً في السجن .
واذ استعمل دموعي بدل الحبر ، أحيل أفكاري إلى أشعار .

عند قراءة «مختارات الف شاعر»

اعتاد القدماء ان يحبّوا التغني بالجمال الطبيعي :
الثلج والأزهار ، القمر والريح ، الضباب والجبال والأنهار ،
اليوم علينا ان نصنع قصائدَ من حديد وفولاذ .
وعلى الشاعر ايضاً ان يعرف كيف يقود الهجوم .

امام مشهد طبيعي

أغصان شجرة تكوّن صورة شخصية لتشانغ في ،
والشمس إلى الأبد تشرق على فضائل كوان يو .
لم تصلني هذه السنة أنباء من ارض بلادي ،
وأنا في كلّ يومٍ أنتظر كلمة من وطني .

طقس بديع

كل شيء يتطوّر ، إنها دورة الطبيعة :
بعد الأيام الماطرة ، يأتي الطقس البديع .
وفي لحظة ، ينفض العالم ثيابه الرطبة عنه .
آلاف الجبال تفتح سجادتها النسيجيّة ،
وتحت الشمس الدافئة والريح النظيفة ، تبتسم الأزهار .
في الأشجار الكبيرة المغسولة الغصون ، تؤلف الطيور جوقة .
الدفء يملأ قلب الانسان ، والحياة تستيقظ من جديد .
المرارة تفسح الآن الطريق للسعادة ،
هذا هو ما تريده الطبيعة .

نزهة في الجبال

السحب تعانق القمم ، والقمم تعانق السحب ،
النهر في الأسفل يشرق كمرآة ، صافياً ونظيفاً .
وفي أعلى الجبال الغربيّة ، يضطرب قلبي وأنا أتجوّل
ناظراً صوب السماء الجنوبيّة وحالماً بأصدقاء قدامى .





كتب هوشي منه ، رئيس جمهورية فيتنام الشمالية ، يومياته هذه في سجون الصين ، حيث كان قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها . وهي تنتظم في رباعيات ، بحيث تتيح لنا النفاذ إلى اعماق هذا الزعيم . وهي على قلتها وبساطتها ، مشحونة بالعاطفة والنقاء والصمود ، كما انها تضيء بالحماسة الوطنية وتخلو من الحقد والبغض .

١٥٠ ق.ل. او ما يعادله